محاضرة قيمة بعنوان:

«السعي لنيل محبة الله»

لفضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد الزعكري حفظه الله تعالى

نسأل الله أن ينفع بها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه ومجتباه صلى الله عليه وسلم ومن اهتدى بهداه

﴿'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)'﴾

[سورة آل عمران]

﴿' يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)'﴾

[سورة النساء]

﴿'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)'يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)'﴾ [سورة الأحزاب]

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

الحمد لله الذي جمعنا في ليلتنا هذه" الرابع عشر من رجب الحرام لعام سبعة وأربعين وأربعمائة وألف" هجرية

في مسجد "سلمان" في مدينة الغيظة هذا المسجد الطيب المبارك كان يقوم عليه أخونا/ أبو مصعب محمد الحسني جزاه الله خيراً على عنايته به ثم خلفه أخونا المبارك/ عيسى الشميري وفقه الله وهو

من أخواننا الأفاضل الأكارم ومن طلاب العلم الحريصين على الإستفادة والإفادة فنسأل الله له التوفيق والعون للقيام بالدعوة والخير في هذا المسجد،

ومن نعمة الله عز وجل على أهل محلة أن يوفقهم لداعٍ من دعاة السنة يصلي بهم على السنة ويخطبهم، ويدرسهم، ويحاضرهم، بما هو من ذلك

فيأمنون على عقائدهم ويأمنون على فلذات أكبادهم إذ إنّ الداعي السلفي يأتي منه الخير يدعو إلى الخير ملتزماً بقول الله عز وجل ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾

أَي ليكن مِنكُم يَا مِعَاشِرِ الْمُسْلِمِينَ طَائِفٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ والخير هو "الإسلام" كما قال: حذيفة "إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير"

فدعاة أهل السنة بحمد الله هذا شأنهم تمكث مع أحدهم خمس سنوات عشر سنوات عشرين سنة إلى أن يتوفاه الله وهو يدعو إلى الخير إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد إلى العقيدة الصحيحة إلى العبادة الموافقة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكارم الأخلاق ومعالي القيم إلى كل فضيلة والتحذير من كل رذيلة لا يمكن أن تجد السلفي يوماً يدعو إلى حزبية أو يدعو إلى خرافة أو يدعو إلى ضلالة أو يدعو إلى فتنة أو يدعو إلى خروج أو يدعو إلى غير ذلك من الشرور

فإن وجد منه شيء من ذلك فهو قد نابذ السلفية بقدر المخالفة التي يقع فيها وإذا أراد الله عز وجل أن يكرم أهل محلة يسر لهم بداعي خير يذكرهم بالله ويعلم جاهلهم ويفيد سائلهم

وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، الفضل لله على الداعي إذ رزقه العلم الذي يدعو به ووفقه للخير وعلى المدعوين الذين يتعاونون معه والذين يحضرون له والذين يشاركونه

من باب قول الله عز وجل ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

يعني الداعي إلى الله عز وجل ربما يشاركه بالأجر الأعداد الكثيرة طالبه يشاركه بالأجر المتعاون معه يشاركه بالأجر المستفيد منه يشاركه بالأجر تعاون على الخير وعلى نشر الخير وهذا من فضل الله عز وجل

أيها الأخوة: من صفات الله عز وجل أنه يحب ولا يحب فيحب سبحانه وتعالى ويبغض ويرضى ويكره كما يسخط سبحانه وتعالى لكن على المسلم أولاً أن يؤمن بهذه الصفة من أن الله يحب محبة تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

﴿'وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)'﴾ [سورة الإخلاص] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

إذا آمنا بأن الله عز وجل يحب ماذا يتعين علينا وماذا نستفيد

نستفيد أن ما أمر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه محبوب إلى الله وما كان محبوباً إلى الله يتعين على المكلف أن يحبه وأن يأتي به وأن يدعو إليه وأن يحرص عليه،

وهكذا يتعين أن يحرص على الوصول إلى هذه الدرجة الرفيعة أن الله يحبه،

والناس يتفاوتون في هذه المرتبة فليحرص العبد على زيادة إيمانه، وزيادة عمله، وزيادة علمه، وزيادة خيره،حتى يحبه الله عز وجل حباً عظيماً يجلب له بذلك الحب الخير العظيم في دنياه وأخراه ويسلم من معرة بغض الله سبحانه وتعالى الله عز وجل حين يخبرنا في كتابه بما يحب ويخبرنا بما لا

يحب هو ليس بخبر مجرد لا هو دعوة إلى التزام المحبوب والبعد عن المبعوض ولو سلك المكلف هذا المسلك لرأيت الناس على أمرٍ عظيم جداً من الإستقامة،

ولكن القصور حاصل،

وفي الأبيات الشعرية التي يتناقلها العرب،

لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ * *إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ*

ولذلك كان من أهم المهمات لذوق حلاوة الإيمان المحبة لله لأنها مفتاح كل فضيلة مفتاح كل خير مفتاح الاستسلام والانقياد مفتاح الثبات والاستمرار مفتاح المراقبة مفتاح الطاعة،

جاء في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»

وانظر حين ذكر الله عز وجل الردة ماذا ذكر بعدها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

لأن الردة إنما تقع من القصور في هذا الباب يضعف حب الله في قلبه وحب العقيدة الصحيحة وحب التوحيد وحب النبي صلى الله عليه وسلم،

فإذا وقع منه ذلك أبغضه الله وإذا أبغضه الله قلاه وخذله فتقع منه الردة،

فيقول الله عز وجل إذا وقعت منكم الردة يا معاشر من آمن ومن أسلم فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم وإذا أحبهم وفقهم أعانهم سددهم ثبتهم علمهم رفع قدرهم دافع عنهم أكرمهم

ويحبونه.. لأنه لا يستقيم أن الله يحب من لا يحبه،

هذا ما يستقيم ولا يصلح فالله عز وجل يأتي بأُناس يحبهم ويحبونه وكان معنى هذه الآية في زمن الردة حيث ارتد جماهير الناس حتى لم تبقى الصلاة إلا في مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جواثى، بالبحرين يعني في ليلة وضحاها انجفل الناس فجاء الله عز وجل بأهل "اليمن" قومٌ أحبهم الله وأحبوا الله وفتح الله بهم الفتوح ومصر الله بهم الأمصار وأعز الله بهم الإسلام وأهل الإسلام فلذلك يتعين علينا الحرص على هذا الباب العظيم أن نلتزم ما أحبه الله حتى يحبنا الله فإذا فعل العبد السبب كان منه بعد ذلك ما وعد الله به

﴿'إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾

متى يدخلون الجنة.. إذا آمنوا إذا عملوا الصالحات إذا ثبتوا إذا استمروا على الخيرات والمبرات

وهكذا إذا أحب الله عز وجل المؤمن وفقه لكل فضيلة وقبل منه العمل وحفظه ودفع عنه

استجاب دعوته وحقق رغبته هنيئًا لمن أحبه الله وهنيئًا لمن أحب الله إذا أحبك الله وضع لك القبول في هذه الدنيا

وإذا أحببت الله فأنت إلى خير لكن لا تكن محبة مُدّعاة لأن هناك طوائف يدعون محبة الله لاسيما غلاة الصوفية الذين يقول بعضهم

عبدتك للحب لا رغبة ولا رهبة

بئس ما يأفكون،

بل جاء عن بعضهم أنه قال اللهم إن كنت عبدتك طمعاً في جنتك وخوفاً من نارك فأدخلني نارك.. يعني يقول أنا ما أعبد الله لا خوفاً ولا طمعاً إنما أعبده محبة نعم الله عز وجل يعبد بالمحبة فلذلك وصف الله المشركين الذين يعبدون الأصنام يحبونهم كحب الله أي كحب المؤمنين لله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

فالله سبحانه وتعالى يحبه المؤمنون لكن لا يستقيم الإيمان به إلا مع خوفٍ ورجاء ومحبة ولذلك قالوا من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري خارجي زائغ منحرف ربما قنط الناس من رحمة الله وربما شدد على نفسه ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ربما ضيع الواجبات وارتكب المحرمات وهو يرجو فضل الله الواسع

نعم فضل الله الواسع لكن لآبد من عمل لنيل ذلك الفضل فإن الله يذكر الأعمال الصالحة ثم يقول ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق انظر يحب الله لكن ما يخاف من الله ولا يرجو الله هذا زنديق منافق قال الله عز وجل في وصف الأنبياء الذين ذكرهم في سورة "الأنبياء" بل وهو وصف لغيرهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

حب ورغبة، ورهبة، وخشوع، ورجاء، وخوف، ومن عبد الله بالحب والرجاء، والخوف، فهو المسلم المستقيم المنقاد لرب العالمين، فإذن المحبة الممدوحة هي المحبة الشرعية محبة أهل الإيمان أما يذهب يقول لك أنا أسلك هذا المسلك وأترك ذاك المسلك لمحبتي لله كذاب

إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

لو كان محباً لله للازم شرع الله هذا عند جماهير "العقلاء" لو أن رجلاً يدعي أنه يحب أباه أو أنه يحب زوجته أو أنه يحب صاحبٌ له ثم تراه دائمًا في موطن المخالفة للأب أو للزوجة أو للصاحب أي محبة هذه

ما يخالفك إلا المبغض لك

أو المبغض لفعلك يعني يبغضك وإلا المحب يحرص دائمًا على أن تبقى بينكم المحبة،

ونعود إلى ما نحن في صدده من أن الله عز وجل يُحِبُّ

ويحب يحب أصناف كثيرة إن قادت لشريعته ويحبُ ممن إن قاد لشريعته من "المؤمنين" الذين يحبون الله عز وجل يحبوا الرسول إذا كانت محبة النبي صلى الله عليه وسلم متعينة علينا أكثر من أنفسنا، ومن أبنائنا، وأبائنا، كيف بمحبة الله مع أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله بأمر الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول «والله لأنت يا رسول الله أحبُّ إليَّ من كُل شيء، إلا نفسي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه، فقال عمر: فلَأَنْتَ الآن -والله- أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الآن يا عمر» رواه البخاري عن عبدالله بن هشام رضي الله عنه

فمحبة الله متعينة أشد التعيين بل إن من أبغض الله عز وجل كفر من أبغض الله بل من أبغض شرعه ودينه بل من أبغض رسوله لا يستقيم إسلام إلا مع محبة لله عز وجل ومحبة لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ومحبة للدين ومحبة للمؤمنين إلا أن المحبة محبة لله ومحبة في الله ومحبة مع الله المشروع محبة لله ومحبة في الله وأما مع الله لا سيما إذا احب وثنه وصنمه كمحبته لله أو أكثر من محبته لله فهذا كافر زنديق مشرك وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم النبي صلى الله عليه وسلم بل الله عز وجل قبل ذلك قد بين هذا الطريق غاية البيان كما أسلفت لكم آيات كثيرة في القرآن تخبر أن الله يحب المحسنين المؤمنين المتوكلين الصادقين التوابين المتطهرين ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾

المحبين له إلى غير ذلك

وأنه لا يحب الكافرين والمنافقين والمفسدين والمعتدين والظالمين والمسرفين 'ولَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ' "ولَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" "ولَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"

في أمورٍ كثيرة ﴿'لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾

في أمورٍ كثيرة ذكر الله عز وجل بأنه يحبها وأمور كثيرة ذكر الله عز وجل بأنه لا يحب إذن ما هو الواجب عليك أيها المكلف الواجب عليك تتبع المحبوب والإتيان به على الوجه الذي شرعه الله مخلصاً فيه لله

لأن الله عز وجل يحب الطاعات والقربات والمبرات

لكن لا يأتي واحد يقول أنا سأتي بهذه العبادة وهذه الطاعة لأن الله يحبها لكن يأتي بها على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم هذا غير مقبول «من عمل عملًا ليس عليه أمرِنا فهو رَدٌّ»

«من أحدَث في أمرِنا – أو دينِنا – هذا ما ليس فيه فهو رَدٌّ»

فلابد أن تأتي بالمحبوب مخلصاً فيه لله ومتابعًا فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وهكذا يتعين عليك البعد عن المبغوض فأي أمر قال الله فيه لا يحب يجب عليك أن تبغض هذا الفعل وأن تبتعد عن هذا الفعل وأي أمر قال الله عز وجل فيه حب يتعين عليك بل يجب

يجب في المعنى العام قد يتعين

ويجب أن تأتي به التوكل واجب ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

والطهارة من الأحداث واجبة

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

وهكذا التوبة إلى الله عز وجل واجبة من كل ذنب والصدق واجب والإحسان لا سيما التوحيد وإلى الوالدين وإلى غير ذلك من الواجبات،

والقتال لإعلاء كلمة الله قد يجب قد يجب سواء في الدفع أو في الطلب إلى غير ذلك

فيا عباد الله إذا أردنا الرفعة الدينية والدنيوية فعلينا أن نسلك هذا المسلك تتبع أدلة القرآن والسنة فما وجدنا أن الله عز وجل يحبه حرصنا عليه. وما وجدنا أن الله يبغضه نفرنا منه. وحذرناه.

إذا كان أنس بن مالك يا عباد الله يحب الدباء. لأن النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدباء.

يعني إلى هذا المستوى

فكيف لا تحب ما يحبه الله.

الصلاة يحبها الله. التوحيد قبل ذلك يحبه الله.

السنة يحبها الله. الصحابة أحبهم الله. الأنبياء قبل ذلك أحبهم الله.

الأفعال الطيبات الزكيات أحبها الله. من الصدق، والاحسان، والتوكل، والطهارة، والصلاة، والعبادة، والتقوى، وكم، وكم،

يتكلم الانسان. ثم الجميع يريد أن الله يحبه.

ما هو السبيل إلى محبة الله للعبد. حتى النصارى. ﴿'وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

يهودي. أنجس من النجس.

ونصراني أنجس من النجس.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

نجاسة معنوية مستقرة.

لا تذهبها النار،

ومع ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه.. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

الله لا يعذب من يحب

وإنما يكرمه. وإنما يدنيه ويقربه.

وإذا فعل بعض المسلمين، بعض الذنوب وأراد أن يجازيهم عليها بالعذاب إنما هو عذاب يمضي وينتهي، وتهذيب حتى يصل أحدهم إلى الجنة.

بينما أُولَئِكَ عذاب شديد وخزي أكيد ولا ينقطع. كما أخبر الله عز وجل عن حال الكفار ﴿'إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)'لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢)'لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)'لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤)'﴾ [سورة النبأ]

قيل البرد.. هنا النوم ﴿'إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)'﴾ [سورة النبأ]

حميم.. ما تناها في الحرارة.

والغساق.. ما تناها في البرودة. فيعذبون بهذين المتضادين.

﴿'جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦)'﴾ [سورة النبأ]

أي أن ما نالهم هو جزاء أعمالهم. فكيف تصل إلى أن الله يحبك. ما هو صعب.

ما هو صعب.. من أسهل ما يكون. "من أسهل ما يكون" أن تصل إلى أن يحبك الله.

أليس الله عز وجل يقول ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

إذًا أسهل شيء أن تصل إلى محبة الله. لأن الله ما جعل علينا في الدين من حرج.

قد يقول قائل أنا ما أستطيع أصل إلى محبة الله عز وجل أنا مشلول.. المشلول يستطيع أن يصل إلى محبة الله ربما أكثر من القوي.

تقول: امرأة أنا مشغولة بأبنائي وبزوجي وبأعمالي ومن أسهل ما يكون وصول المرأة إلى محبة الله عز وجل.

الحضري.. أنا مشغول أنا في دكاني أنا في وظيفتي من أسهل ما يكون.

البدوي.. أنا عندي جهل أنا ما استطاع اتعلم. ولا اتفقه من أسهل ما يكون.

فالوصول إلى محبة الله عز وجل سهل جداً. سَهَّلَها اللهُ وقَرَّبَها اللهُ،

بل بأدنى عمل. لو كان الشأن أن الوصول إلى محبة الله عز وجل يكون إلا مع التعب والنصب والإرهاق والشدة وكثرة المال وكثرة، الأعمال ربما ما نال هذه المحبة إلا القليل لا،

تستطيع أن تصل إلى محبة الله عز وجل وأنت على فراشك وأنت في عملك وفي حال شبابك وشيخوختك وكهولتك وكبرك يستطيع أن تصل إليها النساء يستطيع أن يصل إليها العربي، والعجمي، الأبيض، والاسود، والأحمر،

الغني، والفقير، المسؤول، والرعية، الجميع يستطيع أن يصل إليها الصحابة وما في آخر الزمان يعني هناك أعمال ربما تكون على بعض الأشخاص،

مثل الصدقات إنما تكون في الغالب للأغنياء «ذهب أهل الدثور بالأجور»

الحج والعمرة لأصحاب الجدة الصيام لأصحاب النشاط والقوة أما الوصول إلى محبة الله عز وجل من السهولة بمكان،

لكن مع سهولتها من أصعب ما يكون،

أولاً: يحتاج إلى توفيق الله له لآبد من هذا ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

ثانياً: يحتاج منك إلى محبة ما أحبه الله وإلى العمل بمقتضى هذه المحبة لأن "الدعاوى مالم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء"

من السهولة أن تقول أنا أحب الله أنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحب الإسلام

لكن أين أنت "أين أنت"

وماذا تفعل وماذا تترك

النبي صلى الله عليه وسلم قد بين لنا هذا بيانا شافيًا قال: فيما يرويه عن ربه «وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

خلاص قد فرض الله عليك التوحيد العقيدة الصحيحة الصلاة الصيام الحج،

فرض عليك غير ذلك من الواجبات كبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران

فرض عليك اجتناب الكبائر والآثام إلى غير ذلك معلومة في الكتاب والسنة

فإذًا ما تقرب إلى الله عز وجل بأفضل مما فرض فكل فريضة تتقرب بها إلى الله عز وجل أنت تسلك سبيل محبة الله لك،

وكل معصية تقصيك عن الله

عز وجل أنت تسبب على نفسك أن الله لا يحبك وأن الله يبغضك أو يكرهك أو غير ذلك من المعاني الدالة على هذا الشأن «وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه»

أين أنت من الفرائض أين أنت من صلاة الجماعة أين أنت من صلاة الفجر أين أنت من مراقبة الله عز وجل أين أنت،

فكلما كنت مع الفرائض والواجبات أنت تسلك مسلك محبة الله لك سيحبك الله ولآبد وعده لا يخلف ولا ينقض،

قال الله عز وجل مخبراً عن شأنه العظيم في هذا الباب الكريم ﴿'إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

هذا إخبار.. هذا إخبار عن تحقق هذا الأمر ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾

وُدًّا.. بين الناس لأنه قد ودهم "وهو الغفور الودود" قد ودهم وأحبهم والود.. يدل على المحبة العظيمة نعم عباد الله فلا يزال العبد يتقرب إلى الله بالفرائض حتى يحبه أو ما تقرب إلى الله في أحب مما افترضه عليه

ثم جعل الله عز وجل نوافل الصلاة لها نافلة الحج له نافلة العمر لها نافلة الزكاة لها نافلة الصيام له نافلة،

بل كل طاعة تجد لها نافلة النافلة الزيادة فمثلاً العمرة تجب عليك في العمر مرة،

لكن يستحب أن تستكثر منها

«تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ» كما في حديث ابن عباس وابن مسعود «فإنَّهما ينفِيانِ الفقرَ والذُّنوبَ ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ وليسَ للحجِّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنَّةِ» أخرجه الترمذي والنسائي واللفظ له وأحمد

والصيام أقرب شيء أول ما تنتهي من رمضان "من صام رمضان ثم اتبعوا ستة من شوان"

الزكاة: الواجبة واجبة بما تعينة في الزكاة ولو تصدقت بتمرة أو بعدد تمرات أو بمعونة أو بكلمة طيبة والصلاة لما كانت أحب العبادات إلى الله عز وجل بعد التوحيد جعل الله عز وجل النوافل محيطة بها فتجد نواف قبلية ونواف بعدية ونوافل الليل ونوافل النهار وغير ذلك

إذا اتيت بالفرائض ثم بعد ذلك ما يسره الله من النوافل «وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ»

كل نافلة تفعلها قربة من الله وسبب لمحبة الله عز وجل لك وسبب لعون الله عز وجل لك كل قربة سبحان الله تحببك إلى الله وتقربك من الله «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»

فإذا أتيت بما يحبه الله أحبك الله فما عليك إلا أن تستكثر لنفسك من أسباب المحبة،

فعلى قدر محبة الله لك رفعتك في الآخرة رفعتك قبل ذلك في الدنيا سلامتك في الدنيا والآخرة إذا أحبك الله اكرمك وأعلى شأنك واستجاب دعوتك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ربه «فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به» لا يسمع إلا خيرا

«وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به»

لا يبصر إلا خيرا

«ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها»

لا ينال بيده إلا الخير

«ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها»

إلى الخير انظر كيف تحاط من الله عز وجل بالسلامة من الشرور والآثام بسبب أنك تقربت إلى الله عز وجل بما افترض الله عليك وربنا عز وجل جازاك بمحبته تحاط بأسباب السلامة بأسباب العزة بأسباب التمكين بأسباب النصر بأسباب التوفيق بأسباب الثبات بأسباب الرفعة في الدنيا والآخرة،

وليس هذا فحسب «وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،»

سل يا أخي سل ما لا تمنع منه شرعًا ولا قدرًا "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ما لم يدعو بإثم أو قطعة رحم" سل لكن قدم قبل سؤالك سبب الاستجابة وهو محبة الله عز وجل ومحبة الله كما تقدم الفرائض ابتداءً ثم الاستكثار من النوافل بهذين الأمرين يتفاوت الناس بمحبة الله لهم كلما كان المرء إلى الله أقرب كان أحب «وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ،»

يعني يعيذك الله من الشرور ويأتيك الله عز وجل بأسباب الرفعة والحبور هذا الباب باب محبة العبد لله ومحبة الله عز وجل للعبد باب تنافس

النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في غزوة خيبر قال «لَأُعْطِيَنَّ هذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ، قالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ»

كم من مواطن يقول النبي صلى الله عليه وسلم لبعضهم أرغب لك رغبة أفعل لك كذا وهو يتحرج من ذلك الشيء يريد أن يكون خفياً أو يريد أن يقدم غيره أو يريد غير ذلك لكن تلك الليلة بات الناس يدوكون ليلتهم عمر بن الخطاب يدوك مع الدائكين وبقيت الصحابة الكرام

استشرفوا لحمل الراية مع أنهم يعتقدون حديث أبي هريرة رضي الله عنه «طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ،» رواه البخاري

ويعتقدون حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ» رواه مسلم

حتى أن ولد سعد بن أبي وقاص جاء إليه وقال يا أبي الناس يعني أقتسمون الخلافة وأنت في مزرعتك فأخبره بهذا الحديث لكن تلك الليلة الجميع يستشرف ليس لأجل أن يكون قائداً معروفاً أو من أجل أن يأتي الفتح على يديه لا يبالي يأتي الفتح عن غيره لكن لما قال النبي صلى الله عليه وسلم يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله هنا وقع التنافس شهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشخص يحب الله ورسوله يعني نحن قد نقول نحب الله ونحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا قصور وأيضًا يحبه الله ورسوله شهادة وفخر وعز فأعطاها النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بعد ذلك الشاهد من الحديث حرص الصحابة على هذه الشهادة العظيمة،

نعم عباد الله لا تفتر عن طاعة لأن فتورك يؤخرك عن هذه المنة الكريمة والمنحة العظيمة

انظر لما كان إبراهيم عليه السلام قد وفى بحق الله كما أمره الله ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰٓ (٣٧)﴾ [سورة النجم]

﴿'وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)'﴾ [سورة البقرة]

وفى وأتم الكلمات قال الله عز وجل ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

والخلة صافي المحبة اتخذه خليلًا لعظيم استقامته وعظيم إقباله وكثرة مبادرته وعدم ضعفه وتوانيه ﴿'إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)'شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)'وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)'﴾ [سورة النحل]

وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم يقول «إنَّ اللهَ اتَّخَذني خليلًا كما اتَّخَذ إبراهيمَ خليلًا» رواه مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه

لماذا لأنه لم يدع موطناً يحبه الله عز وجل أو فعلاً يحبه الله عز وجل إلا أخذ فيه بقصب السبق، فهكذا إذا أردت أن يحبك الله فبادر إلى ما يحبه الله سبحانه وتعالى وعند ذلك تَكْرُم وتُعِزُّ ولا تهان لأن الله يدافع عن من يحبه ويغضب لمن يحبه ويحارب من يحارب حبيبه كما قال سبحانه وتعالى «مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ»

عباد الله إننا نستشرف إلى محبة الناس لنا وإلى القبول بين الناس يستشرف أحد ربما نتجمل في ملابسنا لذلك،

ربما ننيل يعني الكلام ننيله من أجل ذلك ربما نبتسم من أجل ذلك ربما نعزم من أجل ذلك ربما نزور، ونزار من أجل ذلك،

وفعلن أن هذه لآبد منها "أحسنوا إن الله يحب المحسنين" والناس يحبون صاحب الأخلاق العظيمة،

لكن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأمرٍ من أسهل ما يكون وهو مجال صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي

صلى الله عليه وسلم «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ..الروح الأمين يا جبريل..

: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،»

أحبه الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يسألون أقصد لماذا؟ خلاص مباشرة الله يحب فلان يحبوه،

«ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ»

قبول حتى من أعدائك يمكنك الله يجعل لك قبولاً يجعل لك محبة في قلوب المؤمنين في قلوب المتقين وداً في قلوبهم وقبولاً حتى ربما بين المخالف نعمة من الله كريمة ومنة من الله عظيمة،

فهذا بابٌ كما أسلفت لكم من أسهل ما يكون الوصول إليه ومن أصعب ما يكون أثبات عليه

نسأل الله العافية،

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِيْنِكَ، ويا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوْبَنَا على طَاعَتِك»

فيا عباد الله استعينوا بالله لتصلوا إلى محبة الله واستعينوا بالله ليقع منكم الحب لله وبالله فإن من أعانه الله نال ما رجاه وابتغاه ﴿'إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)'﴾ [سورة الفاتحة]

جاء حديث يحسن بعض أهل العلم ولا يخلو من كلام «اللهم إني أسألك حبك وَحُبَّ من يُحِبُّكَ»

يدعو الله أن يرزقه حب،

أسألك حبك وحب من يحبك،

أو كما جاء في الحديث

نعم فلا مانع أن الإنسان يدعو الله أن يسر له محبته، فإن الله إذا يسر لك محبته يسر لك السبل المؤدية إلى محبته،

ولذلك لما قال ذلك الرجل يا رسول الله «لا أحسنُ دَندنتَكَ ولا دَندَنةَ مُعاذٍ إلا أني أقول «اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ» فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «حولَها نُدَندِنُ»

حولها ندندن..فأنت حين تقول اللهم إني أسألك الجنة.. تدعو الله بأسباب دخول الجنة وأنت حين تقول اللهم إني أعوذ بك من النار.. تدعو الله بالسلامة من أسباب النار،

وهكذا حين تسأل الله عز وجل أن يرزقك حبه وحب ما يحب أنت تدعو الله عز وجل لتوفيقك لكل فضيلة ولكل شعيرة تقربك منه سبحانه وتعالى وتدعو الله عز وجل بالسلامة يعني إما أنت تدعو الله وتسأله بلسان الحال أو بلسان المقال،

فالله الله عباد الله بالبحث والمسارعة والحرص على هذه الخلة وعلى هذه الخصلة لأنك إذا أحبك الله سعدت في دنياك وأُخراك وسلمت في دنياك وأُخراك ولا يلزم من أن الله يحبك ألا تبتلى لا قد

يبتليك لأنه يحبك من أجل ترفع من أجل يغفر لك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله قوما ابتلاهم.»

إذا أحب الله قوما ابتلاهم.. لماذا حتى يلقى أحدهم الله عز وجل وليس عليه خطيئة نعمة ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾

انظر إلى أبيك إلى أمك إلى حبيبك إلى حميمك إلى صديقك

ربما يدخلك المستشفى لتبتر يدك ربما يدخلك المستشفى لتبتر رجلك ربما يعني يرضى

فيك بأمر لسلامتك،

فالله له المثل الأعلى يبتليك بمرض بسقم بعداوات بمقلقات بمؤذيات.. لماذا ليغفر لك ذنبك ليحصل لك الخير العظيم والفتح المبين في دنياك وأُخراك ما تصل إلى أهوال القيامة إلا وقد ذهب الكثير والكثير مما يسبب لك غير ذلك.

فرغها/ يونـس القـاضي غفر الله له ولوالديه